

الرَّسَالَة ٢٦

حَسْبُوهَا نَجِيسَةٌ.. وَهِيَ قَدِيسَةٌ!

(Arabic - Hannah, Samuel's mother)

أحباي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: حَسْبُوهَا نَجِيسَةٌ.. وَهِيَ قَدِيسَةٌ!

ومن سفر صموئيل الأول الأصحاح الأول نقرأ الأعداد من الثاني عشر إلى الخامس عشر:

"وكان إذ أكثرت الصلاة أمام الرب.. وعالي يلاحظ فاهها.. فإن حنة كانت تتكلم في قلبها.. وشفتاها فقط تتحركان. وصوتها لم يُسمع.. أن عالي ظنّها سكرى! فقال لها عالي: حتى متى تسكرين؟! انزعي خمرك عنك!.. فأجابت حنة وقالت: لا يا سيدي! إني امرأة حزينة الروح.. ولم أشرب خمرًا ولا مسكرًا.. بل أسكب نفسي أمام الرب!.."^١

عند جبل حوريب ظهر الله لموسى في عليقة تنقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق.. وناداه الله من وسط العليقة قائلاً: "لا تقترب إلي ههنا. اخلع حذاءك من رجلك لأنّ الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة".. إنّ المكان يتقدّس بحلول الرب بمجده وجلاله فيه.. فليس هناك مكان مقدّس بذاته.. ولكن حضور الرب فيه يقدّسه.. سأل أحد رجال الله عروسين وكانت زيارته الأولى لهما في بيتهما الجديد قائلاً: مَنْ معكما في هذا البيت الجميل؟ أجابا معاً في دهشة.. نحن الإثنين وليس سوانا! فقال لهما: لا بدّ من وجود ثالث معكما.. فسألاه: كيف يكون هذا؟ أجابهما بقوله: هناك ثالث يلازمكما. إمّا الله أو الشيطان. لا تندهشا ممّا أقول فإنني جنّيتُ اليوم لزيارتكما لأدعوكما كي تطلبوا الرب ليحلّ بروحه القدوس في بيتكما.. إنّ بيتكما يتقدّس بحلول الرب فيه.. وإلا جاء الشيطان بأرواحه الشريرة ليملاً فراغاً سيجده في البيت.. وقلوبنا كذلك إذا لم نسلّمها باختيارنا لله سيحتلها إبليس ويملاً فراغها.^٢

يسجل الكتاب المقدس بسفر صموئيل الأول الأصحاح الأول أنّ حنة التي هي أم صموئيل جاءت إلى الهيكل في الوقت الذي كان فيه عالي كاهناً.. تقدّم صلاتها بانكسار أمام الله طالبة من الرب أن يمنحها ابناً.. إذ كانت عاقراً.. وكان ابنه حفنى وفينحاس يخدمان في الهيكل.. كان ابنه شيريرين.. أفسدا هيكل الله بادنس الأفعال.. الأمر الذي من أجله قطع الله تعامله مع عالي الكاهن.. لأنّ بعضيان الإنسان لخالقه تضيع البركة وتحلّ اللعنة.. وكما سبق قوله: أنه ليس هناك مكان مقدّس من ذاته.. ولكن حضور الرب فيه يقدّسه.. ولقد أرسل الله رسولا إلى عالي الكاهن يعلن له قضاء الرب.. ويسجل الوحي هذه الكلمات: "وقد أخبرته بأني أقضي على بيته إلى الأبد.. من أجل الشر الذي يعلم أنّ بنيّه قد أوجّبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يُردعهم!"^٣

اعتاد عالي الكاهن رؤية نساء شيريرات يترنحن في بيت الله سكارى ثملات بالخمير.. واختلط عليه الأمر فما عاد يفرق بين النجاسة والقداسة.. بين امرأة تترنح بالخمير وأخرى تسكب نفسها في صلاة أمام الرب.. "وكان إذ أكثرت حنة الصلاة أمام الرب وعالي يلاحظ فاهها.. فإن حنة كانت تتكلم في قلبها.. وشفتاها فقط تتحركان وصوتها لم يُسمع. ظنّها عالي أنّها سكرى. فقال لها: حتى متى تسكرين؟ انزعي خمرك عنك.. فأجابت حنة وقالت: لا يا سيدي! إني امرأة حزينة الروح.. ولم أشرب خمرًا ولا مسكرًا.. بل أسكب نفسي أمام الرب!"

أقول ببايجاز: إنّ الرب سمع لصلاة حنة واستجاب لطلبتيها وأعطاهم ولداً دعته صموئيل وجاءت به إلى الهيكل.. كبر صموئيل.. ويسجل الكتاب عنه: "وأما الصبي صموئيل فتزايد نمواً وصلحاً لدى الرب والناس أيضاً". "إنّ الله لا يترك نفسه بلا شاهد"^٤ ولا بدّ أنّ النور يسطع مهما كان الظلام دامساً.. فمن كثرة الشر يفقد الناس القداسة والقديسين ويحسبونه عهداً ولى وانقضى كما حدث في عهد عالي الكاهن.. لقد مضى زمن طويل لم

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر صموئيل الأول ١: ١٢ - ١٥ ،

^٢ سفر الخروج ٣: ٥

^٣ سفر صموئيل الأول ٣: ١٣

^٤ سفر أعمال الرسل ١٤: ١٧ ،

^٤ سفر صموئيل الأول ٢: ٢٦

تكتحل عينا عالي برؤية مَنْ يصلى ساكبا نفسه أمام الربّ.. ففي عهده البائس امتلأ بيتُ الله بالمخمور والمبتذل.. لذلك غلبَ على ظنّه أنّ حنّة واحدة منهنّ وهى القديسة بين النساء.

إنّ أبدأى عالي الكاهن تخليا عن مسؤوليته فى تحذير الشعب من ارتكاب الشرّ ولكنّ الله لم يتخلّ يوماً ولن يتخلّ لأتّه المدبّر وليس سواه.. الربّ وحده يُبطلُ مشورة الشرير ويُقيمُ الحقّ.. الربّ يُعرفُ أتقياءه ويُعضدّهم.. وأتقياؤه بدورهم يُعلنون اسمه ويُمجّدونه.. يهبُ قوّة للنفوس المُكرّسة لِخدمتهِ مُستخدماً إليّهم لهدمِ حصون إبليس.. قد نتساءل: لماذا تأتى الله هذه السنين الطوال وهو يرى الشرّ والأشرار يقدّمون عبادة لا يقبلها وذبابح لا تسره؟.. لماذا ترك الله عالي الكاهن وأولاده يعيشون فى هيكله فساداً!.. لقد جاء برسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية الأصحاح الثانى ذلك التحذير لكلّ مَنْ تسوّّل له نفسه أن يستهينَ بغنى لطفه إذ قال: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاليه وطول أناته غير عالم أنّ لطفَ الله إنّما يقتادك إلى التوبة؟!.. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخرُ لِنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.. الذى سيُجازى كلّ واحد حسبَ أعماله".^١

الحقيقة أنّ الله يُمهّل ولا يُهمّل.. فإن كانت الظلمة غطت الأرض بعالي الكاهن.. ولكن سَطَعَ النورُ بالصبى الصغير الذى دعتّه أمّه صموئيل.. عادت صلة السماء بالأرض بصبى كرسته أمّه للربّ.. وإذا بالصبى الصغير يركعُ خاشعاً أمام الله قائلاً: "تكلم يا ربُّ لأنّ عبّك سامع". كبر صموئيل وتزوَّج وأنجب أولاداً وصار نبياً لله محبوباً لدى شعب الله.. ووضع لنفسه شعاراً: "وأما أنا فحاشا لى أن أخطئ إلى الربّ فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم". إني أتخيله وهو يصلى رافعاً كفيه ليتشفع من أجل النفوس التى تنقل بها.. حسيها خطية أن يكف عن الصلاة من أجلهم وحاشا أن يقترفها. رأى أمّه تصلى فتعلم منها كيف يصلى وعرف قيمة الصلاة وقوّة فاعليتها.. كانت أمّه له بمثابة مدرسة صلاة تعلم فيها كيف يسكب نفسه أمام الربّ.. وكيف يطلبُ بايمان وما نوع الصلاة المُستجابة.. ولا بدّ أنّ أمّه أخبرته أنّه هو نفسه.. كان استجابة للصلاة.^٢

أتخيّلُ حنّة أم صموئيل وهى تعملُ جبة صغيرة لابنها.. تصعدُها له من سنة إلى سنة عند صعودها مع رجلها لذبح الذبيحة السنوية.. فيرى الابنُ فى وجه أمّه ملامح قديسة سكبت نفسها أمام الربّ واستمتعت بمحضرة قبل أن تستمع برؤية ابنها الغالى.. لم تكف عن الصلاة من أجل هذا الابن الذى كان هبة الله لها بعد صبر طويل.

كثيراً ما ننخدع عندما يملأ إبليس أوصارنا بمشاهد الإثم والفساد. فلا نرى أمامنا سوى أمثال عالي الكاهن وحفى وفينحاس!.. ولكن لتطمئن قلوبنا فهناك أمثال حنّة وصموئيل.. الذى حاشا له أن يخطئ إلى الربّ ويكف عن الصلاة من أجل شعب الله.. إن كان إيليا يرى الذين هدموا مذابح الربّ وقتلوا أنبياءه وأنه بقى وحده.. ولكن الربّ يطمئنه قائلاً: "وقد أقيتُ فى إسرائيل سبعة آلاف كلّ الركب التى لم تجث للبلع وكلّ فم لم يقبله".^٣

كثيرون يعملون حساباً لما يقوله الناس عنهم وتطيب نفوسهم برضاهم عليهم.. لم تكن حنّة أم صموئيل كذلك.. فليس المهم ما يقوله الناس عنّا إن كان خيراً أو شراً ولكن المهم ماذا يعرف الله عنّا فهو "فاحص القلب ومختبر الكلى". إن الذين يبتغون مدح الآخرين تراهم يحاولون إرضاءهم حتى لو ألزموهم بالسلوك الردى.. ذلك خوفاً من مذمتهم أو اضطهادهم أو تهديدهم بالاعتداء عليهم.. لنسمع قول الربّ بإنجيل لوقا الأصحاح الثانى عشر: "ولكن أقول لكم يا أحبائى.. لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر.. بل أريكم ممن تخافون.. خافوا من الذى بعدما يقتل له سلطان أن يلقى فى جهنم.. نعم أقول لكم من هذا خافوا".^٤

ليتك أذى تشترك معى فى تلك الصلاة: أبانا السّمّوى.. أسكبُ نفسى أمام جلالك.. أسألك أن ترحمنى وتصفح عني أنا الخاطى.. اغسلنى بالدم المسفوك من أجلى على الصليب.. استرنى ببرك ربّى.. هبنى الحياة الأبدية حسب وعدك.. أرفعُ صلاتى فى اسم يسوع واتقا فى وعدك يا مَنْ قلت: مَنْ يقبل إلى لا أخرجهُ خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٢: ٤ - ٦

^٢ سفر صموئيل الأول ٣: ٩

^٣ سفر صموئيل الأول ٢: ٢٢ ، سفر الملوك الأول ١٩: ١٤ - ١٨

^٤ سفر إرميا ١٧: ١٠ ، إنجيل لوقا ١٢: ٤ - ٥